



الاستماع إلى الموسيقى :

تعد عملية الاستماع إلى الموسيقى من أولى المراحل التي تستند عليها عملية التذوق الموسيقي ويعتبر مجرد الكلام عن الموسيقى دون الاستماع إليها خال من أية فائدة ، لذا اهتم الناس بالاستماع . وكان الاستماع إلى الموسيقى خلال السنين الأولى من القرن العشرين محدوداً جداً فما ترتب عليه تعطيل انتشار ذلك الفن .

ولكن بعد توفر وتطور أجهزة التسجيل المختلفة بدأ من المذياع والكراموفون وغيرها من أجهزة التسجيل وصولاً إلى التلفزيون وأجهزة الكمبيوتر فزاد ذلك من مزايا المستمع الحديث وأصبح بإمكان كل شخص الاستماع بسهولة إلى موسيقاه المحلية والموسيقى العربية والعالمية .

الفرق بين عملية السماع وعملية الاستماع :

عملية السماع تأتي بحالة إرادية أو غير إرادية إذ أنها تكون عملية غير مقصودة ، أي أننا نسمع الموسيقى أثناء المطالعة أو أثناء تأدية أي عمل أو نسمعها ونحن نسير في الشارع ، وهنا تأتي عملية السماع بشكل غير مقصود وتسمى عملية السماع العابر وهذا يحدث لنا كل يوم . أما عملية الاستماع فهي عملية مقصودة أي إننا نتعمد الاستماع إلى الموسيقى والاستمتاع بأنغامها عن وعي وإدراك وفي أماكن وظروف معينة نحن نختارها مثل حضورنا إلى الحفلات الغنائية والموسيقية .

وتدرك الموسيقى عند الاستماع إليها عبر مستويات مختلفة يتباين المستمعون من خلالها حيث أننا نستمتع إلى الموسيقى كل بحسب كفايته ولكن عندما يراد تحليل عملية الاستماع ذاتها فيمكن ردها بوجه عام إلى العناصر التي تتألف منها .

وعندئذ نجد أننا نستمتع وفق ثلاثة مستويات هي كما يأتي :

- 1- المستوى الحسي .
- 2- المستوى التعبيري .
- 3- المستوى الموسيقي البحث .

فالمستوى الحسي هو ابط مستويات الاستماع وهو المستوى الذي نستسلم فيه إلى الاستماع دون تفكير أو تقدير للموسيقى أي أن عملية الاستماع تكون لمجرد التمتع بالأصوات الموسيقية وبأنغامها العذبة دون التفكير والتعمق في تفسير مستوياتها . فنفثح جهاز الراديو مثلاً لنستمع إلى الموسيقى دون تفكير ودون وعي في حين نقوم بتأدية أي عمل من الأعمال الأخرى . وهذا المستوى هو من أكثر المستويات شيوعاً ، وتكاد عملية الاستماع الشائعة في كل المواقف الحياتية للمجتمع من هذا المستوى .

أما المستوى الثاني الذي يقوم عليه الاستماع الموسيقي فهو المستوى التعبيري والذي يتبين فيه إدراك ما تحمله الموسيقى من معاني تعبيرية تحملها نغماتها المختلفة ، وهذا المستوى مرتبط بالناحية الانفعالية للمستمع ومدى تركيزه عند الاستماع للوصول إلى المعنى المراد من أي مؤلفة موسيقية أو غنائية . فالموسيقى تعبر في أوقات مختلفة عن الأسى أو الانتصار أو عن الهدوء أو الغضب أو البهجة أو عن الشعور الوطني أو عن حالة لا يمكن التعبير عنها بالكلمات .

والمستوى الثالث من الاستماع هو المستوى الموسيقي البحث فإلى جانب المستوى الحسي المنبعث في أصوات الموسيقى ، وإلى جانب الشعور المعبر الذي ينشأ عنها فأن للموسيقى كيانها الناشئ عن نغماتها الموسيقية نفسها وعن معالجة هذه النغمات ومعظم المستمعين لا يشعرون بهذا المستوى شعوراً كافياً ولأجل أن نحقق عملية إدراك المؤلفات الموسيقية وفق المستوى الثالث ، والذي نطلق عليه (المستوى الموسيقي البحث) علينا أن نستمع بوعي وبتركيز كبير إلى السطح اللحني المتكون من مجموعة الجمل اللحنية المختلفة وإلى التركيب الإيقاعي المتنوع الضربات وكذلك إدراك عنصر الهارموني والانتقالات المقامية والتوزيع الآلي وباختصار نقول : علينا رؤية

الوعاء الموسيقي من الداخل والخارج عند محاولة إدراكه وفق المستوى الثالث من عملية التذوق الموسيقي .

ففي هذا المستوى لا نكتفي بالقول أن اللحن جميل أو غير جميل بل نسعى لمعرفة سبب ذلك ، ولماذا أصبح جميل أو غير جميل كذلك لا نكتفي بالقول انه يعبر عن حالة الانتصار أو الانكسار ، عن الفرح والألم بل يتعدى ذلك بالقول ما هو سبب هذا الإحساس أو ذاك ، وهكذا نرى أن للموسيقى معناها البحت والمرتبط بمكونات عناصرها والتي هي بحاجة إلى نوع من الدراسة المتخصصة لكي تدرك وتفهم كما يجب ، إننا لا نستطيع أن نصل إلى المعنى الحقيقي للموسيقى إلا عن طريق فهمنا لما نسمعه وليس مجرد السماع العابر بل الاستماع المركز الذي يجعلنا نحس بالقيمة الجمالية والتربوية والحضارية للموسيقى .

شروط الاستماع إلى الموسيقى :

- 1- تنويع الاستماع إلى المقطوعات الموسيقية والغنائية والتركيز على أوجه الاختلاف فيما بينها .
- 2- الاهتمام والتركيز على كل الخطوط اللحنية التي تعزف وبمختلف الآلات الموسيقية وعدم التركيز على خط اللحن الرئيسي .
- 3- التركيز على تعبيرية الموسيقى .
- 4- التدرج في عملية الاستماع من الألحان البسيطة الواضحة إلى الألحان المعقدة .
- 5- الاستعداد النفسي لعملية الاستماع إلى الموسيقى .
- 6- القراءة والاطلاع على الأوليات المكتوبة حول المقطوعات التي يراد الاستماع إليها .
- 7- الاستماع المتكرر للمقطوعة الواحدة والتركيز في كل مرة على جانب أساسي منها وفهمه جيداً .